



مجلة البحث العلمي الإستراتيجي



Journal of Islamic Scientific Research
(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمدم النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمدم النسخة الإلكترونية)

المجلد 23 – العدد 79 – مارس 2026

Volume 23 – issue 79 – March 2026

الصفحات 331 - 367 367 - 331

دفاع هوفمان عن الإسلام واستشراف مستقبله أمام العالم الغربي

من خلال كتابه (الإسلام كبديل)

Hoffman's Defense of Islam and His Vision of its Future in the West through His Book
(Islam as an Alternative)

DOI: <https://doi.org/10.55625/joisr-7911>

د. موسى بن عقيلي بن أحمد الشيشي

Dr. Musa bin Aqili bin Ahmed Al-Shaykhi

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة والقانون بجامعة تبوك

المملكة العربية السعودية

Associate Professor, Department of Islamic Studies, College of Education and Arts,

University of Tabuk

Kingdom of Saudi Arabia

Email: drmusa1391@gmail.com

تاريخ الاستلام - 2025/12/21 - Date of Receipt

تاريخ القبول - 2026/01/04 - Date of Acceptance

جميع الأبحاث / الأعداد المنشورة متوفرة على موقع المجلة الرسمي www.joisr.com

عكار، شمال لبنان، ص.ب. طرابلس 208 جوال 0096178963362 - فاكس 009616471788 - بريد إلكتروني: editor@joisr.com



د. موسى بن عقيلي بن أحمد الشخي

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة والقانون بجامعة تبوك
المملكة العربية السعودية

Dr. Musa bin Aqili bin Ahmed Al-Shaykhi

Associate Professor, Department of Islamic Studies, College of Education and Arts
University of Tabuk
Kingdom of Saudi Arabia
drmusa1391@gmail.com

دفاع هوفمان عن الإسلام واستشراف مستقبله أمام العالم الغربي من خلال كتابه (الإسلام كبديل)

**Hoffman's Defense of Islam and His Vision of its Future in the
West through His Book (Islam as an Alternative)**

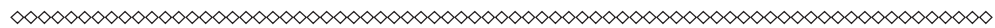
DOI: <https://doi.org/10.55625/joisr-7911>

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/١٢/٢١ / تاريخ القبول: ٢٠٢٦/١/٤

ملخص البحث

عنوان البحث: دفاع هوفمان عن الإسلام، واستشراف مستقبله أمام العالم الغربي من خلال كتابه: (الإسلام كبديل).

يتميز المفكر الكبير مراد هوفمان بانتقاده للغرب، ودفاعه عن الإسلام، بمنهج سديد، مما يجعل دراسة كتاباته أمراً في غاية الأهمية للمعنيين بالدعوة إلى الإسلام، وتوجيه الخطاب للغرب. وقد تناولت الدراسة هذا الموضوع من خلال كتاب مراد هوفمان (الإسلام كبديل)؛ حيث اشتمل المبحث الأول على مجمل القضايا التي انتقدها هوفمان على الغرب، واشتمل المبحث الثاني على جوانب عظمة الإسلام وكماله، والرد على أهم القضايا التي يثيرها الغرب ضده، واشتمل المبحث الثالث على بعض الشواهد الدالة على سوء الواقع الذي وصل إليه الغرب في الوقت الحاضر، وأن المستقبل للإسلام الذي سيحل بدلاً عن تلك الحضارة وقيمها. وقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج، ومنها: ١- أن هوفمان تميز بمنهج نقدي في خطابه للغرب يمكن الاستفادة منه وجعله لبنة في الخطاب الموجه للغرب. ٢- تباً هوفمان بأن الحضارة الغربية



-بواقعها اليوم- تتجه نحو الانهيار، وأن البديل -بإذن الله- هو الإسلام. ٣- يعتبر كتاب هوفمان من الكتب المهمة في العصر الحاضر للمعنيين بواقع الحضارة الغربية، ومستقبل الإسلام، وقد كان له أصداء كبيرة في الأوساط الإسلامية والغربية على السواء.

الكلمات المفتاحية :

دفاع، مراد هوفمان، الإسلام، الغرب، استشراف مستقبل الإسلام.

Research Summary

Research Title: Murad Hofmann's Defense of Islam and His Vision of its Future in the West through His Book: Islam as an Alternative

The eminent thinker Murad Hofmann is distinguished by his critique of the West and his defense of Islam, employing a sound methodology. This makes studying his writings of paramount importance for those concerned with calling to Islam and directing discourse to the West. This study addresses this topic through Murad Hofmann's book, Islam as an Alternative. The first section includes a summary of the issues Hofmann criticizes in the West. The second section covers aspects of Islam's greatness and perfection, and refutes the most important issues raised by the West against Islam. The third section includes some evidence indicating the current state of the West and that the future belongs to Islam, which will replace that civilization and its values. The researcher reached several conclusions, including: 1- Hofmann's distinguished critical approach in his discourse to the West, which can be utilized and used as a building block in discourse directed at the West. 2. Hoffman predicted that Western civilization, in its current state, is heading towards collapse, and that the alternative- God willing- is Islam. 3. Hoffman's book is considered one of the most important books of our time for those concerned with the state of Western civilization and the future of Islam, and it has resonated widely in both Islamic and Western circles.

Keywords:

Defense, Murad Hoffman, Islam, West, Envisioning the Future of Islam.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل علينا خير كتبه، وأرسل إلينا خير رسله، والصلاة والسلام على خير الأنبياء، وأزكى المرسلين، من بعثه الله بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على البيضاء نقية، لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن الغرب اليوم - بالرغم من التقدم المادي الهائل الذي وصل إليه في كافة المجالات - يعيش حالة من الانحدار في العديد من المجالات - وأهمها: الجانب الديني، والفكري، والأخلاقي - لم يسبق لها مثيل، وقد تنبأ لهذا الواقع فئة من المفكرين، وارتفعت أصواتهم الناقدة - على اختلاف أهدافها - تحذر من هذا الواقع المنذر بسقوط مدو للحضارة الغربية برمتها، وكان من أشد هذه الأصوات قوة وتأثيراً من عاشوا في ظل هذه الحضارة نفسها، ورأوا ما ينذر بانحدارها، ثم هبوا لنقدها، بل لتقديم الحلول المثلى - في نظرهم - لمحاولة الإبقاء لها ما أمكن، وكان من أبرز هذه الأصوات في وقتنا الحاضر المفكر الألماني مراد هوفمان، الذي تميّز بنقده للعالم الغربي، بل باستشرافه للبدل عن هذا العالم، وهو الإسلام الذي يرى أنه سيكون البديل عن الحضارة الغربية وقيمها، وقد أعلن صراحة عن هذا الرأي، بل ألف كتاباً يحمل عنوانه هذه البشرية، وهو كتاب (الإسلام كبديل)، وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبرى في بلده ألمانيا، وفي العالم الغربي على وجه العموم؛ بسبب عنوانه ومضمونه القوي، وفي ذات الوقت لقي الكتاب ترحيباً كبيراً في العالم الإسلامي، لاسيما بعد ترجمته إلى العربية.

ولما كان هذا الكتاب يمثل منهجاً متميزاً في الخطاب الموجه إلى الغرب من حيث المضمون، والأسلوب، والهدف رأى الباحث - بعد استخارة الله تعالى - أن يتناوله بالدراسة؛ رغبة في بيان المضامين المهمة التي اشتمل عليها في الخطاب الموجه للغرب، وأوجه عظمة الإسلام وكماله كما يراها مفكر محسوب على الغرب، وشواهد استشرافه المستقبل للإسلام.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تأتي أهمية الموضوع من حيث إن أهل العلم وطلابه معنيون بالدعوة إلى الإسلام، ومن ذلك توجيه الخطاب للغرب؛ بياناً للحق، ودفاعاً عن الشبهات التي تثار حوله، وتصحيحاً للصورة المشوهة عن الإسلام لدى الغرب، ولما كان هذا الكتاب يمثل هذا الاتجاه كان جديراً بالدراسة.

الأسباب التفصيلية:

١ - مكانة المؤلف، فهو ذو شهرة كبيرة، حيث تقلد مناصب عديدة، مثل فيها بلده ألمانيا في عدد من الدول والمنظمات الدولية، ومن جهة أخرى، فقد عاش في ظل الحضارة الغربية، ودان بالنصرانية قرابة خمسين عاماً، ثم اهتدى إلى الإسلام واحتك بالمسلمين عن قرب، مكنه من دراسة الإسلام، ومعرفة مقاصده معرفة كبيرة.

حيث إن مجالها كتاب (الإسلام في الألفية الثالثة).

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث وأفكاره الرئيسية تقسيم البحث إلى ما يأتي:
المقدمة: وتتضمن فكرة الموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلته، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه، وخطواته.

التمهيد: ويشمل التعريف بمراد هوفمان، وبكتابه: (الإسلام كبديل).
المبحث الأول: نقد هوفمان للعالم الغربي، ويشمل مطلبين، الأول: نقد القضايا الدينية.
والثاني: نقد القضايا الفكرية والأخلاقية.

المبحث الثاني: القضايا الإسلامية الرئيسية التي دافع عنها هوفمان، ويشمل ثلاثة مطالب،
الأول: كمال الإسلام وعظمته. والثاني: كمال العلوم الإسلامية. والثالث: كمال الإسلام في مجال الحقوق.

المبحث الثالث: العلاقة بين الإسلام والغرب واستشراف مستقبل الإسلام، ويشمل ثلاثة مطالب:
الأول: العلاقة التاريخية بين الإسلام والغرب. والثاني: أهم الأحداث في تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب. والثالث: استشراف مستقبل الإسلام.
الخاتمة. وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

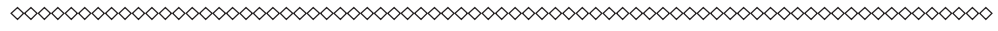
وقد وضع الباحث قائمة بالمراجع التي رجع إليها في أثناء البحث.

منهج البحث وخطواته:

منهج البحث: استخدم الباحث عدداً من المناهج في هذا البحث، وهي: المنهج الاستقرائي؛ لجمع النصوص التي تعبر عن رأي هوفمان في القضايا المتعلقة بالبحث، مما يصلح أن يكون خطاباً موجهاً للغرب، والمنهج الوصفي؛ لوصف القضايا والمضامين التي اشتمل عليها الكتاب مما يتعلق بالإسلام، أو بالغرب، والمنهج التحليلي؛ لبيان ما تميز به منهج هوفمان في خطابه للغرب، والمنهج النقدي؛ لنقد بعض المواضع المهمة التي رأى الباحث أنها تحتاج إلى نقد، مقتصرًا على ذكر بعض النماذج، دون الحصر.

منهجية البحث:

- ١- قراءة الكتاب، وجمع النصوص ذات الصلة بالبحث.
- ٢- تقسيم المادة العلمية المستخلصة على مباحث البحث، ومطالبه.
- ٣- التقديم لبعض المباحث بمقدمات يسيرة للدخول في المبحث.
- ٤- توثيق النصوص بعزوها إلى مصادرها التي رجع إليها، والمصادر التي رجع



إليها الباحث ثلاثة أقسام: الكتاب الرئيس، وهو (الإسلام كبديل)، والكتب الأخرى للمؤلف، ثم المصادر الأخرى غير كتب المؤلف.

٥- عبّر الباحث عن آراء هوفمان بكلمة: (يرى هوفمان)، ونحوها من الألفاظ، ثم ذكر ملخص الرأي دون ذكر النص كاملاً؛ لأن ملخص الرأي هو المقصود، واكتفاءً بالإحالة إلى المصدر والصفحة.

٦- في بعض المواضع نقل الباحث من المصادر الأخرى لمؤلف غير كتابه الرئيس (الإسلام كبديل)، عند الحاجة، كتأكيد فكرة في كتابه الرئيس أو إيضاح لها.

التمهيد

التعريف بالمؤلف والكتاب

التعريف بمراد هوفمان:

لم يجد الباحث - من خلال البحث - سيرة ذاتية كتبها المؤلف عن نفسه، أو كتبها عنه غيره، خاصة بعد وفاته، ولكنه ذكر في بعض كتبه، ولا سيما كتاب (يوميات ألماني مسلم)، و(رحلة إلى مكة) بعضاً من المواقف المتعلقة بسيرته، ومنها ومما كتبه بعض المعاصرين يمكن استخلاص أهم الأحداث المتعلقة بسيرته.

ولد مراد هوفمان بولاية بايرن بألمانيا سنة ١٩٢١ م، وهو ينتمي لأسرة كاثوليكية، تلقى تعليمه الأساسي في ظروف صعبة؛ حيث عاصر الحرب العالمية الثانية وهو ابن تسع سنين، وبدأ دراسته الجامعية عام ١٩٥١ م، حينما التحق بالكلية المتحدة في جامعة «يونيون توليج» لدراسة علم الاجتماع والاقتصاد والحضارة الأمريكية في أمريكا، وحصل على درجة الماجستير في القانون من جامعة هارفارد عام ١٩٦٠ م^(١).

وفي مقتبل عمره تعرض لحادث مروري مروّع، وقال له الطبيب: «إن المرء لا ينجو من حوادث مثل هذه، ولا شك أن الله يخبئ لك شيئاً في مستودع قدره»^(٢).

وتحققت نبوءة ذلك الطبيب بعد تسعة وعشرين عاماً من ذلك الحادث، ولم تكن سوى اعتناقه لدين الإسلام - كما أخبر هو بذلك -^(٣).

وذكر هوفمان أنه كان منجذباً إلى الإسلام كالمغناطيس، وأنه أُلِفَ عقيدته منذ احتكاكه بالمسلمين حتى أعلن إسلامه رسمياً في ٢٥/٩/١٩٨٠ م، في المركز الإسلامي في كولونيا، واختار (مراد) اسماً له^(٤).

وذكر ثلاثة أسباب - أو ثلاث تجارب كما سماها - لإسلامه:

١ - التجربة الإنسانية: بدأت عندما تعرف على المسلمين عن قرب في الجزائر - أثناء الاحتلال الفرنسي - حيث لاحظ مدى تحمل الجزائريين لآلامهم، والتزامهم الشديد بصيام

(١) ينظر: مراد ويلفريد هوفمان، رحلة إلى الإسلام. (تعريب: محمد سعيد دباس. ط٢. الرياض: مكتبة العبيكان. ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م)، (٢٢)، علي إسماعيل الجدة، مراد هوفمان ونقده للمسيحية. (مصر: جامعة الأزهر - حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة. المجلد ٢٥. العدد ١٤٢٨. ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، (٩-١١)، أسامة سمير أحمد عبد المنعم، جهود مراد هوفمان في إبراز الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي من خلال كتابه الإسلام في الألفية الثالثة. (المؤتمر العلمي الدولي الثاني. الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي - أصالة الأثر عالمية التأثير. مصر: جامعة الأزهر. ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)، (١٠).

(٢) مراد ويلفريد هوفمان، رحلة إلى الإسلام، مرجع سابق، (٢٧).

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه: (٧٦).

وتوفي هوفمان في مدينة بون في ١٨/٥/٢٠٢٠م، عن عمر يناهز التسعين سنة، بعد صراع مع المرض^(١).

كتاب (الإسلام كبديل) وموقف الغرب منه :

ألف هوفمان كتابه (الإسلام كبديل) ونشره في عام ١٩٩٢م، عن طريق دار النشر «ديتريش» الألمانية، وذكر أن سبب تأليف الكتاب هو أن «فرانسيس فوكوياما» الذي -كان يشغل منصب رئيس هيئة سياسة التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية- أعلن عن «نهاية التاريخ»، وأن سقوط الشيوعية^(٢) مكنه من استنتاج النتيجة الهائلة، وهي: «أن طريق الحياة الأممية لا بد أن تنتشر وتصبح هي السائدة في العالم... فلا بد للدول النامية في دول العالم الثالث من قبول العالم الأول على أنه النموذج الإجباري للاتباع»^(٣).

وصرّح هوفمان بأن كتابه جاء رداً -غير مباشر- على كتاب نهاية التاريخ، لفوكوياما^(٤)، ويرى هوفمان أن الصراع بين الشرق والغرب قد حلّ محله الصراع بين الشمال والجنوب -بحسب تعبيره-، والمراد بالجنوب الإسلام الذي سيحلّ بديلاً عن الطريقة الغربية للحياة، كما وصفه في موضع بالجنوب الإسلامي^(٥).

وذكر هدفاً آخر لتأليف الكتاب أعم من السبب السابق، وهو محاولة دحض التحيزات والأفكار الخاطئة الضاربة بجذورها في أعماق الوجدان الألماني حول الإسلام^(٦)، ويخلص الباحث إلى أن المحصلة النهائية من نقد هوفمان للغرب، وحيثه عن صعود الإسلام كان بمثابة الأرضية الفكرية لرؤيته في أن الإسلام هو البديل الوحيد للمجتمعات الغربية^(٧).

موضوع الكتاب: قسّم هوفمان كتابه إلى عشرين فصلاً، وكل فصل مستقل عن الآخر، وهي لا تخرج عن أمور: إما حديث عن الإسلام وكماله وعظمته، كما في فصل: (الدين الكامل)، أو نقد للغرب وديانته، كما في فصل: (المسيحية من وجهة نظر إسلامية)، أو نقد لبعض القضايا المتعلقة بالإسلام، مثل: فصل: (التصوف)، وذكر في ثنايا هذه الفصول شواهد على أن المستقبل للإسلام، وأنه البديل عن الحضارة الغربية.

(١) الموسوعة الحرة:

<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D9%88%D9%81%D9%85%D8%A7%D9%86>

(٢) الشيوعية: هي مذهب اجتماعي ترى أن جميع الثروات الاجتماعية مجموع يستهلك الفرد منه بقدر ما يسد جميع حاجاته، وليس فقط بقدر ما يناسب خدماته. ينظر: غالب بن علي عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها. (ط١. جدة: المكتبة العصرية الذهبية. ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، (٢/١٠٣٠).

(٣) مراد ويلفريد هوفمان، رحلة إلى الإسلام، مرجع سابق، (٢٣١-٢٣٢).

(٤) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، مرجع سابق، (٢٠٨).

(٥) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠. (ترجمة: عادل المعلم. ط٢. الرياض: مكتبة العبيكان. ٢٠٠٣م)، (٦٦).

(٦) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، مرجع سابق، (٥).

(٧) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل. (ط١. الرياض: مكتبة العبيكان. ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، (٢٠١).

موقف الغرب من كتاب (الإسلام كبديل) :

عندما نشر هوفمان كتابه في عام ١٩٩٢م ثارت ضده زوبعة هائلة في وسائل الإعلام، ودوائر الأحزاب، والبرلمان الألماني، وبعد حديثه للتلفزيون الألماني عن الكتاب الذي كان على وشك النزول للأسواق ثارت حملة ضده في وسائل الإعلام، ووجهت له اتهامات عديدة، مثل تأييد الاعتداء بالضرب على النساء، وبترا الأيدي، وغير ذلك، وأثارت الصحف عاصفة ضد السفير الألماني في المغرب في ذلك الوقت، حيث شنت نائب رئيس الحزب الاشتراكي الديموقراطي «هرتا دويبلر جملين» حملة ضده على صفحات جريدة «بيلد أم زونتاج»، وطالبت وزير الخارجية الألماني بالاطلاع على الكتاب، وصرحت بأنه لم يعد مـولاً أن يكون هوفمان ممثلاً لألمانيا كسفير لها، وأن الكتاب ما هو إلا مرافعة يشيب لها الولدان ضد العالم الغربي، وطالبت باستدعاء السفير وإقالته فوراً، وانتقدت مجلة «دير شبيجل» هوفمان على دعوته باتخاذ الإسلام بديلاً للانهايار الغربي، وسخرت منه، وعندما استعلموا عن هوفمان واطلعوا على الكتاب وجدوا أن جميع الاتهام لا أساس لها من الصحة، وبعيدة كل البعد عن الحقيقة^(١).

المبحث الأول

نقد هوفمان للعالم الغربي

مدخل :

يتميز فكر هوفمان بحاسة نقدية طغت على أغلب إنتاجه الفكري، وقد وجه سهام نقده إلى العالم الغربي، وناقش أغلب الانحرافات الرئيسية التي يعيشها الغرب في الوقت الحاضر، كما أنه انتقد عدداً من القضايا التي تتعلق بالمسلمين كذلك.

وجاء هذا النقد في سياق هدفه الرئيس الذي كرس له حياته منذ إسلامه، وهو الدفاع عن الإسلام، وتصحيح صورته لدى الغرب، وقد ساعده على ذلك ما تميز به من شخصية ناقدة، إلى جانب خبرته الواسعة والطويلة في العالمين الغربي والإسلامي على السواء، حيث تنقل -بسبب مجال عمله- بين كثير من الدول فيهما.

وأشار إلى هذا المعنى بقوله -في معرض الإجابة عن السؤال عن الوضع الراهن في الجانب الغربي والإسلام-: «أعتقد أن أنسب الناس وأقدرهم على الإجابة على هذا السؤال هم من يتمتعون بتفكير نقدي سليم، وأتيح لهم الفرصة بأن يعيشوا في الجانبين دون أن يتكروا لجذورهم الأصلية»^(٢).

(١) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (٢٤٥-٢٤٦)، مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، مرجع سابق، (٢٢٢).

(٢) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، مرجع سابق، (١٩).

وعند النظر إلى المحتوى النقدي لهوفمان نجد أنه ركز على أمرين أساسيين:

الأول: القضايا الدينية.

والثاني: القضايا الفكرية والأخلاقية.

وتفصيل ذلك في المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: نقد القضايا الدينية:

تحتل القضايا الدينية الحيز الأكبر من رؤية هوفمان النقدية للعالم الغربي، ولا غرو في ذلك؛ فقد عاش في بيئة دينية، حيث كانت أسرته تنتمي إلى الطائفة الكاثوليكية^(١)، وقضى في ظل هذه الكنيسة قرابة خمسين عاماً، جعلته على دراية تامة بهذه الديانة، وقد أشار إلى ذلك بقوله: «... فقد كنت على دراية تامة بالديانة الكاثوليكية، وبأدق شؤونها من الداخل»^(٢).

وعند دراسة القضايا الدينية التي بين موقفه منها نجد أنها تشمل أغلب الانحرافات التي وقعت فيها الكنيسة الكاثوليكية الغربية، باعتبارها الكنيسة التي يدين بها أغلب العالم الغربي، ومن النماذج على هذه الانتقادات ما يأتي:

أولاً: نقد المصادر النصرانية:

تعتبر كتب العهد القديم والجديد^(٣) أهم المصادر للديانتين اليهودية والنصرانية في العالم الغربي، حيث يمثل العهدان مصدراً رئيساً للديانة النصرانية، ويمثل العهد القديم مصدراً رئيساً للديانة اليهودية، ويرى هوفمان أن هذه المصادر لا تمثل وحياً من الله، بل تعتبر روايات منقولة من شخص إلى آخر، بخلاف القرآن الكريم الذي يمثل كلام الله مباشرة^(٤).

ثم استخدم الاسد دلال التاريخي لإثبات عدم موثوقية هذه المصادر، وأن أشد ما يطعن فيها انقطاع السند عن صاحب الرسالة (عيسى عليه السلام)، لأكثر من ثلاثة قرون، حيث إن أقدم نسخة من هذه الكتب يعود تاريخها إلى ما بعد «مجمع نيقية»^(٥) الذي عقد عام ٣٢٥م، أي: بعد رفع

(١) أكبر كنيسة في العالم الغربي وانتشرت في أماكن أخرى بفعل الاستعمار الأوروبي وبعثات التبشير. سهيل زكار، المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي- تعريب وتصنيف وتقديم. (ط١. دمشق: دار الكتاب العربي. ١٤١٨هـ)، (٢/٦٩٠).

(٢) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، مرجع سابق، (٥٢).

(٣) العهد القديم والعهد الجديد هما الجزءان الرئيسان للكتاب المقدس، ويتألف العهد القديم من تسعة وعشرين سفرًا، أما العهد الجديد فيتألف من سبعة وعشرين سفرًا، ويقال: إن أول من أطلق مصطلح العهد القديم هو: ميليتس أسقف ساردس عام ١٧٠م، أما مصطلح العهد الجديد فقد أطلقها ترلتيان عام ٢٠٠م ينظر: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين. قاموس الكتاب المقدس. (ط١٣. القاهرة: دار مكتبة العائلة. د. ت)، (٦٤٤)، القس صموئيل يوسف، المدخل إلى العهد الجديد. (ط٢. القاهرة: دار الثقافة. د. ت)، (٢٥).

(٤) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (٤١).

(٥) أول مجمع مسكوني (عالمي) للنصارى، عقد في نيقية (اسطنبول حالياً) بأمر الإمبراطور قسطنطين عام ٣٢٥م، لمناقشة الخلافات التي وقعت بين النصارى حول طبيعة المسيح، وصدر عنه ما يُسمى بـ«قانون الأمان»، أو «قانون الإيمان».

المسيح بثلاثة قرون^(١).

ونتج عن هذا الانقطاع الكبير في هذه المصادر - خاصة الأناجيل - كثرة التناقضات، حتى لم يعد علماء النصارى من البروتستانت^(٢) وبعض الكاثوليك يباليون بتوافر هذه الموثوقية، بل يصمتون ويتقبلون هذه التناقضات الواضحة^(٣). وقد توصل هوفمان من هذه الحقيقة التاريخية إلى نتيجة مفادها: أن النصرانية مزورة، موافقاً لما قرره العالم الألماني «كارل هاينز دشنر»، وهي تتفق تماماً مع ما قرره الإسلام من تحريف الإنجيل^(٤).

ثانياً: نقد العقائد والشعائر الدينية:

رُكِّز هوفمان في نقده على العقائد والشعائر الدينية، وعقد في كتابه فصلاً مستقلاً بعنوان: «المسيحية من وجهة نظر إسلامية»، وهذا العنوان يوحي بقناعته الراسخة بدين الإسلام الذي اعتنقه، وأنه يتبنى موقفه من النصرانية، وقد عقد في هذا الفصل مقارنة بين شخصية المسلم وشخصية النصراني (المسيحي)، وتوصل من خلالها إلى أهم الفروق بين الشخصيتين - من وجهة نظره -، وفيما يأتي نماذج تبين موقفه من هذه العقائد والشعائر.

١ - عقيدة التثليث:

يُعد معتقد التثليث من الأصول الراسخة لدى النصارى، وقد وجَّه هوفمان - في سياق خطابه للغرب - سهام النقد لهذا المعتقد الدخيل على رسالة المسيح عليه السلام، وانطلق في انتقاده من جملة من الحقائق، ومن أهمها:

الوجه الأول: ابتدأ هوفمان نقده لعقيدة التثليث من موقف القرآن الكريم الذي ينكر هذه العقيدة إنكاراً شديداً، ويتبرأ من الإفراط في تقديس عيسى عليه السلام وأمه، الذين بلغا عند النصارى حد اعتقاد الألوهية فيهما، ثم استدل بنصوص القرآن الواردة في هذا الشأن^(٥).

الوجه الثاني: أكد هوفمان تأثر عقيدة التثليث بالتصورات السائدة قبل عهد المسيح عليه السلام من خلال الاستدلال التاريخي، وبيَّن أن تصور الذات الإلهية عند النصارى في الغرب قد

وأعظم ما جاء فيه إقرار ألوهية المسيح عليه السلام، وطرد أريوس الذي كان من أشد المنكرين لألوهية المسيح عليه السلام من الكنيسة. ينظر الأب: ميشال أبرص والأب: أنطوان عرب، المجمع المسكوني الأول (نيقية الأول). (ط١. د. م: توزيع المكتبة البولسية. ١٩٩٧م)، ٣٢٥.

(١) ينظر: مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (٥٥).

(٢) البروتستانت: هم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا وكان يناهز بإصلاح الكنيسة وتخليصها من الفساد الذي صار صبغة لها، وأهم ما يتميز به: أن صكوك الغفران دجل وكذب، وأن لكل أحد الحق في فهم الإنجيل وقراءته، ومنع الرهينة، وليس لكنائسهم رئيس عام يتبعون قوله. ينظر: سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. (ط٤. الرياض: مكتبة أضواء السلف. ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م). (ص٢٧٦).

(٣) المصدر نفسه: (٥٦).

(٤) المصدر نفسه: (٥٥).

(٥) ينظر: مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (٥٢).

تعني أبوة أو بنوة حقيقية، بل لا تدل إلا على المجاز المتعارف عليه في جميع الديانات.

٣- النظام الكهنوتي:

انتقد هوفمان النظام الكهنوتي للكنيسة الغربية من خلال المقارنة بين شخصية المسلم والنصراني (المسيحي) الغربي، وعدد بعض الفوارق بينهما، ومن أهم الفوارق التي ركز عليها مما يتعلق بالطقوس النصرانية: أن المسلم لا يوجد في دينه مبدأ الوساطة بين العبد وبين الله في العبادة، أو الدعاء، بل هو متحرر من ذلك كله، ولا يتوسل بأحد إلا الله تعالى، وهذا بخلاف النصراني الذي لا يقوم دينه إلا على الشرك بالله تعالى من خلال اتخاذ الوسطاء بينه وبين الله وتعالى، ويتمثل ذلك في نظام القساوسة الذين يجعلون أنفسهم وسطاء أو شفعاء بين العباد وبين الله تعالى، فلا يؤدي النصراني العبادة إلا بالتوسل بهم، كما يحصل أيضاً بالتوسل بالمسيح عليه السلام، أو أمه، أو غيرهم ممن يسمون بالقدّيسين^(١).

ثم بيّن أن موقف المسلم من التوسل بغير الله أقرب إلى طبيعة الإنسان العاقل الراشد، وأنه مخالف لما يوجد في الكنيسة الغربية التي لا تقام فيها الشعائر الدينية إلا بمباشرة (رجل الدين) الوسيط بين العابد المائل أمامه وبين الله، وأنه بهذه الوساطة -دون غيرها- يمكن للعبد نيل بركات الرب.

وقد كان هذا المبدأ الفاسد -مبدأ التوسط بين العبد وربّه- من أكثر المبادئ التي أثارت الانتقادات حول الديانة النصرانية من أتباع الكنيسة أو من خارجها على السواء، بل كان سبباً في اهتداء العديد من النصارى إلى الإسلام، الذي وجدوا فيه الحرية الكاملة في العبادة، والإنكار الشديد على اتخاذ الوسطاء بين العباد وبين الله تعالى، واعتباره من أشد صور الشرك بالله تعالى.

وقد كان هذا المبدأ الإسلامي العظيم أحد أسباب هداية هوفمان نفسه، وقد عبر عن تأثره الشديد بهذا المبدأ، عند ذكره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، حيث قال: «ولابد أن تصيب هذه الآية بصدمة شديدة كل من يأخذ مبدأ حب الآخر الوارد في المسيحية مأخذ الجد... ولكن هذه الآية تتضمن مقولتين دينيتين تمثلان أساساً وجوهراً لفكر ديني، وهما:

١- تنفي وتنكر وراثة الخطيئة

٢- تستبعد، بل تلغي تماماً إمكانية تدخل فرد بين الإنسان وربّه، وتحمل الوزر عنه والمقولة الثانية هذه تهدد، بل تتسبب مكانة القساوسة، وتحرمهم من نفوذهم وسلطانهم الذي يركز على وساطتهم بين الإنسان وربّه، وتطهيرهم الناس من ذنوبهم، والمسلم بذلك هو المؤمن المتحرر

(١) جاء التعبير القرآني عن هذا الشرك العظيم بأبلغ بيان، وذلك في قوله تعالى: ﴿... أَلَمْ تَكْفُرُوا...﴾ الآية [التوبة: ٢١].

من جميع قيود وأشكال السلطة الدينية»^(١).

المطلب الثاني: نقد القضايا الفكرية والأخلاقية :

المسألة الأولى: نقد القضايا الفكرية :

انتقد هوفمان الفكر الغربي، وجاء ذلك عند الحديث عن ظهور الاتجاه المادي في الغرب، وأكد أنه نشأ في الغرب مقترناً بالانصراف عن الدين النصراني-المحرّف بطبيعة الحال-، وأشار في نقده إلى أن هذا الاتجاه ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت سمته البارزة الفلسفة الوضعية، والمنهجية العلمية التي جعلت القرن يوصف بـ«القرن المَعْدوم الإله». وفيه انتشر مذهب اللادرية^(٢)، والمذهب العقلي^(٣) الذي لا يعترف إلا بالعقل مصدراً للمعرفة.

وكان هذا الاتجاه قد انسحب- كذلك- على القرن العشرين، وأصبحت الجماهير العريضة- كما يصف هوفمان- تعيش نوعاً من الإلحاد الذي بلغ حد اتخاذ آلهة جديدة، مثل: السلطة، والثراء، والجمال، والشهرة، وتميز كذلك بالركون إلى العلوم الطبيعية عوضاً عن الدين، وأصبحت المسائل الروحية وأمور الغيب من البقايا التي تشق طريقها إلى الزوال.

ثم أشار هوفمان إلى الآثار الخطيرة لهذا الاتجاه الذي يجعل من «المادة» مقياساً لكل شيء، ومن ذلك إثارة اللذة وجعلها غاية الوجود، وأن تحقيق «الجنة الاستهلاكية» هي الغاية التي يسعى إليها المجتمع الصناعي.

وأبرز هوفمان ظهور الاتجاه المادي في المجال الاقتصادي الذي أفرز في المجتمع مبادئ ومُثلاً علياً جديدة تمثلت في النمو، والربحية، وتحقيق أقصى ربح، وصور الدرك الذي وصل إليه هذا الاتجاه، ووصفه بأنه وصل إلى درجة «الصنمية» لهذه القيم والمبادئ الاقتصادية، واستشهد على ذلك بقول بليغ لـ«ألفريد ملر»، الذي وصف هذه الحالة بقوله: «نظراً لأن الإنسان يدفع ثمن حريته في إنكار الله بملئه عالمة بالأصنام والأوثان والطاغوت، فإن قصة الإيمان لا تكمل فصولها إلا بقصة الكفر»^(٤).

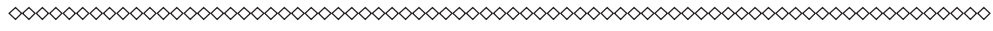
وهكذا نصل إلى أن الاتجاه المادي قد بلغ أقصى مداه بتأليه القيم والمبادئ الاقتصادية، ولذلك كانت له آثار عظيمة على واقع المجتمع المادي، والمجتمع الصناعي خاصة، وأعظمها الآثار الاقتصادية، وقد نقل هوفمان قول «أوتوفون هابسبرج» أن أوروبا التي تخلت عن الدين في

(١) مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، مرجع سابق، (٥٢).

(٢) مذهب يعتقد بأن وجود الله وطبيعته وأصل الكون أمور لا سبيل إلى معرفتها أو إثباتها، وأن الفرد لا يعرف طبيعة الأشياء التي تقع وراء الظواهر الطبيعية. تمت صياغة هذا المصطلح على يد «تي إتش هكسلي» عام ١٨٦٩م. ينظر: هتشنسون، معجم الأفكار والأعلام، مرجع سابق، (٤٢٦).

(٣) المذهب العقلي: هو القول إن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية، لا عن التجارب الحسية. آمال بنت عبد العزيز العمرو، الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية. (د. ط، د. م: د. ن، د. ت)، (ص ٢٢٩).

(٤) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (٢٦).



مقابل هذا الاتجاه المادي أصبحت «كبيت من الورق لا بد وأن يهوى»^(١)، وسوف يأتي تفصيل ذلك في المسألة الآتية.

المسألة الثانية : نقد القضايا الأخلاقية :

كثيراً ما تحدث هوفمان عن الأخلاق في معرض نقده للغرب، وبين أن علامات الخطر بأزمة روحية وأخلاقية بدأت في الغرب بعد إفلاس النظام الشيوعي^(٢)، وفي كتابه (الإسلام كبديل) تحدث عن التدهور الأخلاقي في الغرب، وربط ذلك بظهور الاتجاه المادي في المجتمع، وعزز هذا الرأي بالشواهد الكثيرة، ومنها:

١- أكد علماء الاجتماع أن نجاح الدول الرأسمالية اقتصادياً أدى إلى تقويض القيم الخلقية، واجتثاث قواعد السلوك التي أفرزتها الفلسفة الأخلاقية البروتستانتية.

٢- أدى ذلك -أيضاً- إلى تشويه الخصال الحميدة، وظهور قيم وأنماط سلوك جديدة، ثم ضرب هوفمان أمثلة رائعة توضح ذلك، مثل: انقلاب الفردية الانعزالية إلى نرجسية وأثرة، والإخاء إلى سلوك جمعي غير متعقل، وحق تقرير المصير إلى فوضى خلقية، وحرية الفكر وعدم التحيز إلى إباحية مطلقة، والتنافس المشروع إلى جنون الاستهلاك والحرص على متاع الدنيا، والسعي الجاد والنشط إلى استعباد العمل واستبداده للإنسان قدحاً.

ثم قام هوفمان بتحليل نتائج هذا التردي الخلقى لدى الغرب، وبين أنه أدى إلى أمراض جديدة، من أهمها: الخوف المتراكم، والحاجة الماسة إلى الإحساس بالأمن، ثم ضرب مثلاً من واقع المجتمع الصناعي الذي بلغ قمة الرقي المادي، وحصل أفرادُه على كل ما يريدون من المتع المادية، ومن الاستقلال الذاتي، والحرية، بل الإباحية المطلقة، ومع ذلك فإنهم يشعرون بفرغ هائل يجعلهم يتوقون إلى الحنان والدفء البشري من قبل الجماعة التي يعيشون معها، أو ينتمون إليها.

وهذا الوضع الذي آل إليه المجتمع الغربي هو الذي يفسر ظهور انطلاقة محمومة تجاه الدين حتى أصبحت توصف بأنها: «ظاهرة نفسية رائج سوقها»، وقد صاحب ذلك ميل نحو ترويج العلوم الغامضة والغيبيات.

ثم تنبأ هوفمان بأن البحث في هذا الاتجاه سوف يؤدي -عاجلاً أو آجلاً- إلى دين بديل كاف شاف، وهو يقصد بذلك دين الإسلام الذي يمثل «الصرط المستقيم بين المعسكر الغربي وأوهامه، والمعسكر الشرقي المادي وأحلامه»^(٣).

(١) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، مرجع سابق، (٢١).

(٢) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، مرجع سابق، (٢٠).

(٣) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (٢٩).

المطلب الأول: كمال الإسلام وعظمته:

تحدث هوفمان في فصل: (الدين الكامل)^(١) - بإعجاب شديد - عن كمال دين الإسلام وعظمته، وأبرز صور ذلك الكمال في مجالات مختلفة، ومن أهم الصور التي أبرزها في هذا الفصل ما يأتي:

١ - جانب العقيدة والشريعة:

يرى هوفمان أن من أعظم ما يتميز به دين الإسلام سهولة تعاليمه، وخلوها من التعقيد، وضرب مثلاً بعقيدة التوحيد، الذي يتضمن تنزيه الله تعالى عن الصاحبة، والولد، وجميع أشكال الشرك، وهو ما يمثل الركن الأول من الشهادة، ثم تنبأ بذكر النبوة والوحي، الذي يقوم على أن الله تعالى بيّن لعباده طريق الهدى عن طريق الرسل الذين ختموا بمحمد ﷺ، مما يدل على اكتمال الشريعة، ثم ذكر لفظة مهمة، وهي أن هذا الإكمال لازم لليهود والنصارى، لأنهم خرجوا عن الصراط المستقيم، بالرغم من أن موسى وعيسى عليهما السلام قد بلغا ما أنزل الله عليهما من الكتاب، فكانت الحاجة قائمة إلى النبي ﷺ.

ثم ذكر من صور الكمال: أركان الإسلام الخمسة، التي يرى هوفمان أن الإسلام اختص بها^(٢).

ومن صور الكمال كذلك: أن الإسلام دين وعمل، وأن الإسلام يُلحُّ على الأمرين معاً، واستشهد على ذلك بسورة العصر، وبين أن فيها تصويراً موجزاً وواضحاً أشد الوضوح، للمسلم الذي يعبد الله ويتوكل عليه، ثم يعمل الصالحات، موصياً بها نفسه ثم غيره.

ويرى هوفمان أن السهولة والوضوح الذي تميز به دين الإسلام كان أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى انتشار الإسلام السريع في بلاد واسعة، مثل غرب أفريقيا، والسنغال، والكامرون، وساحل العاج، وغيرها^(٣).

٢ - أصالة القرآن وعظمته:

القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة، وتحدث هوفمان عن عظمة القرآن وإعجازه، وأنه كلام الله، وأن غير المسلم لا يستطيع الشك في موثوقيته وأصالته؛ ولذلك تحدى الله به الكفار، كما تحدى به الكفار السابقين، وبين أن بلاغته سحرت كثيراً من الفلاسفة والمفكرين من

(١) (٤٨-٣٧).

(٢) دلت النصوص على أن هذه الأركان وجدت في الأمم السابقة.

(٣) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (٣٧).

أصحاب اللسان الأعجمي، من أمثال: جوته^(١)، وفريدريش ريكتر^(٢)، وسجل إعجابه بما توصل إليه العالم الفرنسي موريس بوكاي^(٣)، من أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا تتعارض آياته مع ما أقره العلم الحديث، وضرب على ذلك مثلاً بسورة العلق التي وصفت مراحل خلق الجنين منذ أربعمئة وألف سنة وصفاً دقيقاً ومذهلاً يؤيده العلم الحديث تأييداً كاملاً، ثم بين عدد ترجماته وطبعاته في العصر الحاضر، والتي بلغت الرقم الأعلى على مستوى العالم، وكذلك بلغ عدد حفاظه الآلاف^(٤)، مما يدل على عظمته ومكانته.

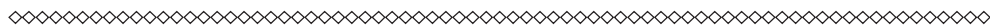
المطلب الثاني: كمال العلوم الإسلامية :

كما تحدث هوفمان عن كمال الإسلام وعظمته تحدث أيضاً عن موقف الإسلام من العلم، وعظمة العلوم الإسلامية في مجالات عدة، واختار الباحث نموذجين لتفصيل ذلك:

١ - موقف الإسلام من العلم :

عقد هوفمان فصلاً مستقلاً لبيان عظمة الإسلام وتميزه في مجال العلم، وجعل ذلك تحت عنوان: (الإيمان والعلم)، وفي هذا العنوان انتقاد واضح لموقف الكنيسة السلبى من العلم؛ حيث جعلت العلم والدين نقيضين، وصورت العلاقة بينها على أنها علاقة صراع، فمن سلك أحد الطريقتين وجب عليه أن يجعل الآخر وراء ظهره، ولذا اختار هذا العنوان ليدل على الارتباط الوثيق بين العلم والإيمان، واستهل حديثه ببيان بعض النصوص الدالة على فضل العلم، وعلو منزلة العلماء في الدين، وأن الإسلام عظم شأن العلم حتى جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة^(٥)، ثم بين أن هذه المكانة للعلم والعلماء كانت بمنزلة القاعدة التي انطلقت منها العلوم والحضارة الإسلامية، في جميع المجالات، واستشهد على ذلك بذكر أربعة عشر علماً من أعلام المسلمين الذين كانت لهم أعظم الاختراعات العلمية والعالمية، ولا تزال آثارها على العالم باقية إلى اليوم، ومنهم:

- (١) غوته. (١٧٤٩-١٨٢٢) أديب وسياسي وعالم ألماني من زعماء حركة العاصفة والاندفاع الأدبية، تأثر بالثورة الفرنسية، وله مؤلفات عدة. الأب لويس اليسوعي معلوف.. (ط١. بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين. ١٩٢٧م)، (٣٩٥).
- (٢) ذكر هوفمان أنه مفكر ألماني وأنه ترجم معظم القرآن في نظم شعري مقفى عبقرى. مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (٤٩)، حاشية: (٦).
- (٣) طبيب فرنسي، ورئيس قسم الجراحة في جامعة باريس، اعتنق الإسلام عام ١٩٨٢م، وله عدة مؤلفات، من أهمها: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث. ينظر: عبد الرحمن محمود، رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا. (د. ط. د. م: المكتبة الشاملة، د. ت.)، (٨٧-٨٩).
- (٤) المؤكد أن عدد حفاظه يبلغ الملايين على مستوى العالم.
- (٥) حديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، أخرجه سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط. (تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. ط١. القاهرة: دار الحرمين. د. ت.)، (٨٥٦٧)، وأحمد البيهقي، شعب الإيمان. (ط١. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، (١٦٦٧)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته. (ط١. بيروت: المكتب الإسلامي. د. ت.)، (٧٢٧/٢)، رقم (٢٩١٢).



- ١- ابن فرناس (ت ٨٨٨)، الذي اكتشف أول وسيلة للطيران.
- ٢- الخوارزمي (ت ٨٤٦)، الذي اكتشف علم الجبر، ونسبت (اللوغاريتمات) إلى اسمه.
- ٣- أبو بكر الرازي (٨٦٤-٩٣٥)، الذي ظل كتابه الحاوي في الطب مرجعاً لطلاب الطب قروناً في جامعات أوروبا.

وبعد ذكر هذه النماذج ذكر حقيقة تاريخية مهمة طالما أنكرها أو تجاهلها الغرب، وهي: أن الغرب أخذ هذه الحضارة عن المسلمين، وليس العكس، وأنه كان مستورداً لها فحسب، واستشهد على ذلك بقول مارشال «هدجسون»: «لم يجد المسلمون لدى الغرب شيئاً يذكر فيستحق أن يبذلوا جهداً ليتعلموه»^(١).

وما زالت بصمات وآثار هذه الحضارة على العالم الغربي باقية إلى اليوم، ومن ذلك: بقاء استخدام الكلمات العربية الأصل إلى اليوم، مثل: كلمة: (أميرال) التي أصلها: (أمير البحر)، وغيرها من الكلمات^(٢).

ثم ذكر هوفمان بعض المراحل المهمة في مسيرة العلم والحضارة الإسلامية، وأنها مرت بمرحلة انحسار في القرن الرابع عشر الميلادي (السابع الهجري)، وعزا ذلك إلى ما نادى به بعض علماء المسلمين من إغلاق باب الاجتهاد والاقتصار على التقليد فحسب، مما نتج عنه -ابتداءً من القرن الخامس عشر- اتجاه يدعو إلى التنفير من العلوم الطبيعية وتجنبها، ولم يكن ذلك الاتجاه اتجاهًا عامًا، بل ظهرت في المقابل بوارق العبقرية في مجالات شتى في الفقه، وعلوم الدين، والأدب، وفن المعمار وغيرها، وظهر كذلك رواد حركة الإصلاح والتجديد المستند إلى مذهب السلف الصالح، من أمثال الشيخ ولي الله^(٣)، ومحمد بن عبد الوهاب في الجزيرة، وأمادو بامبا (١٨٥٠-١٩٢٧) في السنغال.

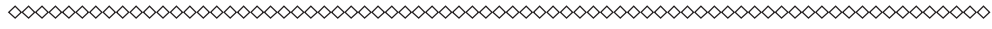
ثم وجه هوفمان سهام النقد إلى العلوم الطبيعية في الغرب، وركز على الانحراف الأكبر في مسيرة هذه العلوم، وهو قيامها على أساس الاستقلال التام عن الدين، وفقاً للشعار المشهور «الفن للفن»، وأصبحت عبارة: «لا خلاص خارج العلوم»^(٤)، بمثابة العقيدة الجديدة لعالم الطبيعة في العالم الغربي اليوم، ولم يعد الدين في عصر العلوم الطبيعية سوى صورة للتخلف العقلي، وعجز الإنسان عن حل مشكلاته، وقد بلغ الأمر بعلماء ذلك العصر تعمد عدم الإيمان بالإله، أما الفيلسوف نيتشه فقد أراد أن يعدم الإله ذاته، وقد استطاعت العلوم الطبيعية بالفعل إقصاء

(١) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (٦٨).

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) (١٧٦٣-١٨٠٢) في الهند مفكر ومصلح إسلامي كان له تأثير عميق، وله مؤلفات عدة. محمد عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات. (تحقيق: إحسان عباس. ط٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ١٩٨٢م)، (١/١٧٨-١٨٠).

(٤) كانت هذه العبارة تقابل عبارة الكنيسة الكاثوليكية: لا خلاص خارج الكنيسة.



الدين، ولكنها لم تستطع أن تملأ مكانه الشاغر.

ويرى هوفمان أن من أعظم رزايا هذه العلوم الطبيعية في الغرب أنها أثقلت كاهل الإنسان الغربي بالشكوك والريبة، وأفقدته الطمأنينة واليقين، وأن نقدها واستنكار هذا التطور غير السوي لها، وجعلها بديلاً عن الدين لم يكن حصراً على المسلمين، بل تناقلت الألسنة في الغرب أن «العودة إلى الميتافيزيقا نتيجة للمعرفة المتأخرة زمنياً، وأنه كلما اشتد الوعي الديني والاستنارة لدى العالم الحديث صارت الحاجة إلى الدين أقوى وألزم»^(١).

٢ - الكمال في علم الفقه :

في خطاب هوفمان للعالم الغربي تحدث عما تميز به الإسلام في مجال علم الفقه، وبعد أن قرر اتفاق الحقوقيين وعلماء الفقه الإسلامي أن علم الفقه الإسلامي أحد مدارس القانون الثلاث في العالم، وهي: القانون الروماني^(٢)، والإنجلوسكسوني^(٣)، والفقه الإسلامي^(٤).

وبعد هذه المقارنة بين هوفمان اختلاف الفقه الإسلامي (الذي يسميه بالقانون الإسلامي) عن القانون، وأنه مأخوذ حصراً من الوحي السماوي؛ ولذا يوصف بأنه طريق الهداية، وأنه الشريعة التي شرعها الله، ثم بيّن ميزة أخرى مما يميز به الفقه، وهي الشمول لجميع مجالات الحياة بما وضعه من أحكام تنظم جميع شؤونها، بما في ذلك السلوك وقواعد الذوق والمعاملات بشكل لا مثيل له^(٥).

ويتميز علم الفقه كذلك بالمرونة؛ لكون يعتمد على مصادر متعددة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وبذلك يتحمل مسؤولية القيام بمراعاة المصالح العامة، ويرى هوفمان أن تعدد المذاهب الفقهية يمثل دليلاً على الحيوية والسماحة للدين^(٦).

(١) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (٧٦).

(٢) القانون: مجموعة قوانين ومبادئ لفرض العدل والنظام في الدولة، ويعود تاريخ جمع وتصنيف القانون الروماني إلى الفترة ما بين ٤٥٠ ق.م إلى عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٨-٥٢٤) حيث تطور القانون وطبق لحل النزاعات بين الرومانيين والأجانب. هتشمسون، معجم الأفكار والأعلام، مرجع سابق، (٢٧٤).

(٣) النظام الأنجلوسكسوني هو: مجموعة القواعد القانونية التي تشكل من القواعد العرفية المكتوبة، والتي كانت موجودة خلال الفترة الأنجلوسكسونية في إنجلترا. ينظر: حميد شاوش، الأنظمة القانونية المقارنة- محاضرات أقيمت على السنة الثالثة- قانون عام. (د. ط. الجزائر: د. ن. ٢٠١٧-٢٠١٨ م)، (١٢).

(٤) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (١٧٧). وهذه المقارنة فيها نظر، لكون الفقه مصدره يعتمد على الوحي، بخلاف المدارس الأخرى التي تعتمد على الوضع البشري، وقد أشار المؤلف إلى هذا الفرق لاحقاً.

(٥) المصدر نفسه: (١٧٨).

(٦) المصدر نفسه: (١٨٠).

المطلب الثالث: تمييز الإسلام في مجال الحقوق:

كما تميز الإسلام بكماله وعظمته في نظامه ومبادئه، فكذلك تميز في مجال الحقوق، فشرع لعباده من الحقوق ما يحفظ لهم الكرامة، ويجلب لهم السعادة، وقد ركز هوفمان على ذلك وكان من أهم الحقوق التي سلط الضوء عليها: حقوق الإنسان، وحقوق المرأة؛ لكونهما أهم الحقوق التي أشغلت الرأي في العالم الغربي حول الإسلام^(١)، وقد تحدث هوفمان عن كل واحدٍ منهما في فصل مستقل، وتقصيل ذلك فيما يأتي:

١ - حقوق الإنسان:

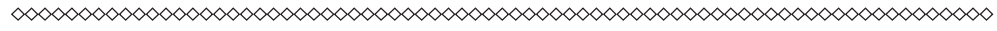
يرى هوفمان أن تطور حقوق الإنسان هو أحد المفاخر الكبرى التي يفتخر بها الغرب الذي يرى أن ذلك عائد حصراً على المسيحية وحدها، ثم تحدث عن أهم مراحل تطور حقوق الإنسان على الصعيد العالمي، ابتداءً من وثيقة الحريات العظمى (الماغنا كرتا)، الصادرة عام ١٢١٥م، إلى صدور وثيقة بيان حقوق المواطنين والإنسان الفرنسية عام ١٧٨٩م، ثم بلغ هذا التطور ذروته في صدور وثيقة حقوق الإنسان العامة للأمم المتحدة عام ١٨٤٨م، والميثاقين العالميين في ١٩٦٦م، حيث يختص الأول بالحقوق المدنية والسياسية، والثاني بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد عرّج على أهم آثار ذلك الفخر الغربي، حيث رأى البعض أن من حقه أن يدعي أن له الصلاحية العالمية والاحترام العالمي، بينما ذهب آخرون إلى ازدياد تطور القانون في بقية أجزاء العالم، خاصة العالم الإسلامي الذي يصورونه على أنه عالم بربري، مع جهلهم التام بهذا القانون^(٢)، ثم وجه هوفمان سهام النقد على هذا القانون بما سمّاه (الشدوخ) التي أصابته بالوهن، وعدد من هذه الشدوخ أمرين:

الأول: أن هذه الحقوق من وضع البشر، كما يرى ذلك أصحاب الوثيقة الفرنسية لحقوق الإنسان، ويُعد هذا الاعتقاد سبباً من أسباب تصدع هيكل حقوق الإنسان؛ لأن هذه الحقوق ليست من وضع الإنسان، وليس هو من أوجدها، بل هي من الله تعالى، وهذه الرؤية تتفق تماماً مع ما جاء به الإسلام، وهذا الأمر مبني على أساس الإيمان بالله تعالى، فإذا أنكر الشخص وجود الله تعالى فهذا يعني بالضرورة أن هذه الحقوق أصبحت تحت تصرف البشر مما يؤدي إلى الفساد الظاهر، وهذا ما حصل بالفعل؛ فحقوق الإنسان والمواثيق التي تضمنتها لم تؤد بحال من الأحوال إلى تحسين وصيانة حقوق الفرد وحمايته في الدول الشيوعية.

والشدخ الثاني: هو تطور مطالبة الإنسان بحقوقه أمام الدولة، مما أدى إلى تضخم حقوق الفرد على حساب الدولة؛ لأن صياغة حقوق الإنسان كانت تسعى في بداية الأمر إلى الحد من سلطة الدولة، وكان السؤال الذي يدور في ذلك الوقت هو: ما الذي ينبغي على الدولة فعله؟ أي:

(١) ينظر مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، مرجع سابق، (١١٩).

(٢) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (١٨٧-١٨٨).



واجبات الدولة التي يراها الفرد حقوقاً له، وكانت نتيجة ذلك التضخم في حقوق الفرد على حساب الدولة^(١).

كما أن هوفمان نفى الاعتقاد السائد في الغرب من أن هذا التطور كان بفضل المسيحية، ملاً ذلك بأن المسيحية كانت تدين هذه الفكرة وتصفها بالعلمانية، ولم تجد طريقاً لها إلى الفاتيكان إلا عام ١٩٦٣م عندما أصدر الفاتيكان مرسوم السلام في الأرض^(٢).

وبعد هذه الانتقادات^(٣) تحدث هوفمان بإيجابية عن موقف الإسلام من نظام حقوق الإنسان الغربي، وبين أنه بريء من هذا (العبث) الموجود في قانون الحقوق الغربي، وأنه من أسبق القوانين الشاملة لحقوق الإنسان^(٤)، ثم بين أعظم ما تتميز به حقوق الإنسان في الإسلام وهو اعتقاد المسلم أنها حق؛ لأن مصدرها الوحي، وهذا يعطي لهذه الحقوق أساساً راسخاً تقوم عليه، وتتميز كذلك بأنها كلها سواء؛ فلا يتميز حق عن حق، والميزة الثالثة: هي وجود الضمانات في الشريعة لحفظ هذه الحقوق وعدم إضاعتها أو التفريط فيها، فعلى سبيل المثال: ضمنت الشريعة سلامة الجسد، والحرية، والملكية الخاصة، وكافة الحقوق الأخرى، وقد أشار هوفمان إلى أن ضمان الشريعة لهذه الحقوق سبق قوانين حقوق الإنسان في الغرب بألف وأربعمئة عام^(٥). ثم عقد هوفمان مقارنة بين حقوق الإنسان في الإسلام وفي القانون الغربي، وتوصل إلى أن الاختلافات بينهما ترجع إلى عدة أمور:

١- تنص موثيق حقوق الإنسان الغربية على صيغ بشأن الجنسين، ولا يمكن أن توافق عليها الدول الإسلامية إلا تحت شروط معينة.

٢- في القانون الغربي يمكن للإنسان أن يدين بدين غير دينه، دون أن يضار لاعتناقه الدين الجديد، لكن هذا الحق ليس مسموحاً به للمسلم، فالمسلم الذي يرتد عن دينه يتحمل العواقب التي تصل إلى القتل، وهو أمر ثابت قطعاً.

٣- غير المسلمين في البلاد الإسلامية لا يتمتعون بفرص متكافئة مع المسلمين في تلك البلاد، فلا يسمح لهم بالمناصب السياسية الرئيسية، فضلاً عن منصب الحاكم، ويعلق هوفمان على ذلك بأن وضع غير المسلم في هذا المجال ليس أسوأ من وضع الأمريكي المولود خارج أمريكا.

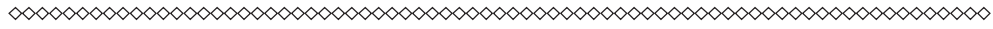
(١) المصدر نفسه: (١٨٨-١٨٩).

(٢) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، مرجع سابق، (١٢١).

(٣) المؤلف له كتاب بعنوان: الإسلام وحقوق الإنسان-دراسة مقارنة، ينظر: مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، مرجع سابق، (٨١).

(٤) قانون حقوق الإنسان الغربي لم يكتمل إلا في عام ١٩٤٨م، وحقوق الإنسان في الإسلام مقرر منذ ألف وأربعمئة سنة.

(٥) المصدر نفسه: (١٨٩-١٩١).



٤- يطبق الإسلام عقوبة الإعدام^(١) على جرائم محددة، هي: الخيانة العظمى، والقتل، وقطع الطريق، وهذه العقوبة أيضاً موجودة في /العالم الغربي رغم الجهود الكبيرة التي بذلت لإلغائها لاسيما أيام النازية الهتلرية، والنظام الشيوعي الذي أسيء فيه استخدام هذه العقوبة مئات الآلاف من المرات - كما يقول هوفمان-.

٥- يوجد في الإسلام مشكلة الرق الذي يشجبه العالم في كل مكان، وكان الرقيق مسموحاً به في الحرب، ولم يكن الرقيق يعامل بأي معاملة مهينة، مثل المعاملة التي سنتها القوانين الرومانية التي اعتبرتهم متاعاً، أو تراثاً حقيراً، وأيضاً: سعى الإسلام إلى تحرير الرقبة في مواضع كثيرة مختلفة في الشريعة^(٢).

ويقرر هوفمان في ختام مبحثه عن حقوق الإنسان أنه لا يوجد تناقض بين حقوق الإنسان، ويؤكد عظمة الإسلام في هذا الجانب بوصفه نظاماً شاملاً في احترامه لحقوق الإنسان^(٣).

٢- حقوق المرأة:

من أكثر المواضيع التي أشغلت الرأي العام الغربي فيما يتعلق بالمسلمين قضية حقوق المرأة، ولذا تحدث عنها هوفمان في سياق خطابه للغرب مدافعاً عن موقف الإسلام من المرأة، ومفنداً للشبهات المثارة حولها، وقد اشتمل حديثه على بيان تكريم الإسلام للمرأة، من خلال ما ورد من النصوص بشأنها؛ مثل تخصيص القرآن سورة تعالج قضايا المرأة، وهي سورة النساء، ومجئ الخطاب في القرآن موجهاً للرجل والمرأة على السواء^(٤)، وتكريم النبي ﷺ للمرأة من خلال سيرته العطرة، ولاسيما تعامله مع زوجاته رضي الله عنهن، وتحدث عن تعامله مع خديجة رضي الله عنها، ثم مع عائشة رضي الله عنها^(٥).

وأكد أن النساء في الإسلام «يتمتعن بصفة قانونية خلال الألف والأربعمئة سنة الماضية لم تتمتع بهن نظيرتهن من النساء في أوروبا إلا في القرن العشرين فحسب»^(٦)، ثم فصل الحديث عن عدد من الشبه المثارة في هذا الباب، ومن أهمها:

(١) ورد في القرآن تسميتها بالقصاص، وهذه التسمية تدل على العدل؛ لأن القاتل أزهق نفساً معصومة بغير حق، ولا يتصور تحقيق العدل وإرضاء أوليا القتيل إلا بإيقاع ذات العقوبة في حقه، وقد جعل الله تعالى في القصاص حياة، لما فيه من العقوبة الرادعة عن الاعتداء على الأنفس، وشفاء صدور أولياء المقتول مما لا يتم إلا بذلك إذا لم تطب نفوسهم للعفو.

(٢) المصدر نفسه: (١٩١-١٩٢).

(٣) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (١٩٢).

وقد عظم الإسلام حقوق الإنسان تعظيماً لا مثيل له في جميع القوانين والدساتير الوضعية، فقد حفظ حقه من قبل الولادة من خلال اختيار الزوجة الصالحة، وحتى بعد الوفاة من خلال حقوق المتوفى في غسله، والصلاة عليه، وتشيع جنازته، وكذلك ما بين الولادة إلى الوفاة، فحفظ حقه حملاً، ورضيعاً، وطفلاً، وزجاً، وأباً، وشيخاً كبيراً، فما أعظم دين الإسلام.

(٤) هذا من حيث العموم، ولكن هناك أمور يختص بها الرجال، وأخرى تختص بها النساء.

(٥) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (١٩٦-١٩٧).

(٦) مراد ويلفريد هوفمان، رحلة إلى الإسلام، مرجع سابق، (١٤٧).

تعليق:

أولاً: يتميز منهج هوفمان في دفاعه عن القضايا الإسلامية، ونقده للغرب بميزات عديدة، منها:

١- المعرفة الواسعة، فهو على قدر كبير من المعرفة بالديانة النصرانية -التي يؤمن بها الغرب-، وبالأحداث التاريخية لاسيما في جانب العلاقة بين الإسلام والغرب، وبالواقع الغربي وتداعياته.

٢- القدرة على المقارنة، فهو يميل إلى المقارنة، كما فعل في المقارنة بين الإسلام والنصرانية، واستخلص النتائج المهمة من ذلك.

٣- القدرة على التحليل والاستنباط، ومن ذلك استنباطه لأهم أسباب تدهور العالم الإسلامي.

٤- معرفة طرق النقد، ومن ذلك معرفة النصوص الكتابية، والقدرة على الاستدلال التاريخي، ومعرفة أقوال العلماء والمفكرين الغربيين.

ثانياً: يؤخذ على هوفمان بعض جوانب القصور، ومن أهمها:

١- أن معالجته للموضوع لم تكن معالجة علمية موضوعية، وإنما هو أقرب إلى المعالجة الصحفية؛ فهو لا يناقش الموضوع من جميع جوانبه تقريراً، أو نقداً، وإنما يتحدث عن الخطوط الرئيسية في الموضوع الذي يدور حوله النقاش، ولعل عذره في ذلك أن هدفه الرئيس هو خطاب الغرب بالطريقة التي يستوعبها، بعيداً عن الطرح العلمي.

٢- يتضح من نقده ضعف الجانب الشرعي لا سيما في القضايا الإسلامية المهمة، مثل حقوق المرأة، فقد غلب عليه جانب الدفاع دون التأميل والنظر الشرعي، وهذا عائد إلى عدم تخصصه في المجال الشرعي.

المبحث الثالث

العلاقة بين الإسلام والغرب ومستقبل الإسلام

المطلب الأول: العلاقة التاريخية :

تحدث هوفمان عن تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب، محللاً لأهم الأحداث التي وقعت عبر هذا التاريخ الطويل، ومن خلال تتبع حديثه يجد الباحث أنه أبرز خمس مراحل متميزة لهذه العلاقة، وهي:

١- بداية العلاقة: يرى هوفمان أن العلاقة بين الإسلام والغرب بدأت بإرسال النبي ﷺ الرسل إلى حكام المناطق المجاورة، مثل النجاشي، وهرقل (٦١٠-٦٤١)، طالباً منهم الدخول في الإسلام، وقد امتدت هذه المرحلة إلى قرابة مئة عام، وامتازت بالانتشار الهائل للإسلام في سنوات معدودة، فلم تمض مدة وجيزة حتى دانت دول كثيرة بالإسلام، مثل: سورية، وفلسطين، وفارس، ومصر، وأرمينيا، وقبرص، وشمال إفريقيا، وحتى إسبانيا، وقد دعت هذه المرحلة الغرب إلى الزعم بأن الإسلام انتشر بالسيف فحسب، وفي هذه المرحلة أيضاً انطلقت بواكير الحضارة الإسلامية، وحققت نتائج مذهلة في العلوم الطبيعية والإنسانية.

٢- مرحلة الانحسار والحروب الصليبية وحروب الاسترداد: بدأت هذه المرحلة في عام ٧٢٢م (١١٢هـ)، حيث انحسر الزحف الإسلامي في فرنسا، وبعدها بعدة قرون بدأت مرحلة الحروب الصليبية (القرن الحادي عشر حتى الثالث عشر الميلادي)، ثم حروب الاسترداد للأراضي الإسبانية والبرتغالية من المسلمين.

٣- الفتوحات العثمانية: بدأت هذه المرحلة بفتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م.

٤- القرن الثامن عشر: بدأ في هذا القرن أن الصراع الملحني قد انتهى، وسلك الغرب طريق النهضة والتطور التكنولوجي، وحقق حركة هائلة في مجالات الاقتصاد والعلوم الحربية، وانسحب هذا التفوق عند الغرب على تفوق المسيحية نفسها، وفي ذات الوقت تقهقر العالم الإسلامي واتجه نحو التخلف والجمود، بحيث أصبح مهياً للاستعمار الذي تحققت في المرحلة التالية.

٥- عصر الاستعمار والهيمنة الغربية: ويمثل القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وقد بدأ للغرب في هذا العصر أن حضارة الغرب قد فرضت نفسها؛ لأنها تمثل الطرف الغالب المتفوق، ولا بد أن يقبلها المغلوب طوعاً أو كرهاً.

وبعد هذا العرض لهذه المراحل البارزة في تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب تحدث هوفمان عن أهم الأحداث في أثناء هذه المراحل، وهو ما سيتم تفصيله في المطلب الآتي.

المطلب الثاني: أهم الأحداث في تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب:

أولاً: انتشار الإسلام:

لجأ الغرب إزاء الانتشار الهائل للإسلام في مدة وجيزة إلى الزعم بأنه دين عدواني، وأنه انتشر بالسيف، وقد نقد هوفمان هذا الادعاء من خلال بيان الحقائق التاريخية، ومنها:

١- أن الفاتحين المسلمين لم يكونوا ليستطيعوا فتح تلك الأقطار والممالك الشاسعة لو لم تدخل شعوبها في دين الله أفواجاً، وكان من ذلك اعتناق كثير من النصارى الإسلام، ومنهم الذين خرجوا عن إجماع الكنيسة الغربي من نصارى المشرق والمغرب العربيين، والأرسيين، وكان سبب اعتناق بعضهم للإسلام التقارب بين عقيدة الإسلام ومذهبهم الذي يرفض الطبيعة الإلهية للمسيح ﷺ، والتثليث^(١).

٢- مما يكذب هذا الادعاء انتشار الإسلام في عدد من البلاد في إفريقيا دون حد السيف، مثل السنغال، ومالي، وغانا، وتشاد، ولا يزال ينتشر في مناطق أخرى.

٣- أن (حد السيف البتار) - كما يحلو للنصارى وصفه - قد ذاقه النصارى البيزنطيون أنفسهم على يد النصارى اللاتين (الغربيين) إبان احتلال القسطنطينية عام ١٢٠٤م^(٢).

وهذه الحقائق تكذب دعوى انتشار الإسلام بالسيف.

ثانياً: انتشار الحضارة الإسلامية:

أكد هوفمان أن المسلمين كما نشروا الإسلام في أرجاء الأرض نشروا في ذات الوقت العلوم والحضارة الإسلامية، وانطلق العلماء المسلمون يحققون نتائج مذهلة في جميع المجالات والفنون، واستطاعوا تغيير وتطوير مسار العلوم التي كانت قبلهم، واستشهد على ذلك بتطور العلوم في مجالات عدة، مثل الرياضيات والبصريات، وعلوم الطب وفروعه، وعلوم المعاجم والموسوعات، وكتب التاريخ وعلم الاجتماع، ثم يبين أثر هذه الحضارة على أوروبا، وأنها بددت الظلام الذي ران عليها عدة قرون، واستدل على ذلك بذكر كبار الأعلام المسلمين، مثل الرازي، والبيروني، وابن سينا، وابن خلدون، وابن بطوطة، وغيرهم.

(١) ذكر هوفمان أن «كثيراً من المسيحيين الذين زندقهم مجمع نيقية رحبوا بالإسلام الذي قال عن عيسى عليه السلام ما كانوا يعتقدون، فهو رسول، وليس ابن الله، فهجر الناس الكنائس أفواجا ودخلوا في الإسلام». مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، مرجع سابق، (٤٧).

(٢) وصف هوفمان احتلال القسطنطينية وصفاً دقيقاً، فقال: «أما في عامي ١٤٠٣-١٤٠٤ فنهبوا مدينة القسطنطينية المسيحية الشرقية وعاثوا فيها فساداً، لاعتقادهم أنها مدينة خارجة عن الكنيسة الكاثوليكية وتعاليمها، لم تشهد مدينة إستانبول المسيحية قبل هذا التاريخ أو بعده أضراراً وأهوالاً كالي لاقتهما على أيدي الفرسان الصليبيين». مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة، مرجع سابق، (٩٢).

ثالثاً: تدهور العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادي:

تحدث هوفمان عن تدهور العالم الإسلامي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، متأسفاً على ذلك، وعزا ذلك إلى ثلاثة أسباب رئيسية، وهي:

١- الهجوم الصليبي والمغولي على العالم الإسلامي:

حيث شهدت هذه الفترة هجوماً عنيفاً على المسلمين من قبل المغول، ثم الصليبيين، حيث سقط في هذا الهجوم مركز الحضارة الإسلامية في قرطبة عام (١٢٣)، وبغداد (١٢٥٨).

٢- إلغاء باب الاجتهاد في الشريعة:

ظهرت دعوات داخل العالم الإسلامي تدعو إلى إغلاق باب الاجتهاد، بدعوى أن السلف الصالح قد أحاط بكل شيء علماً، وأن دور اللاحق ينبغي أن يقتصر على التقليد والتلخيص فحسب، وقد أدت هذه الدعوى إلى حالة من الركود في العالم الإسلامي.

٣- اتجاه الغرب إلى الفكر المادي مع انحسار دور الدين:

حيث شهد العالم الغربي انطلاقة مادية هائلة بدأت مع مطلع القرن التاسع عشر متزامنة مع انصراف كبير عن الدين النصراني - كان هذا الدين محرفاً، ولكنه لم يخلو من بعض البقايا من الفضائل-.

والذي يراه الباحث أن هذه الأسباب لها دور كبير في تدهور العالم الإسلامي، ولكن السبب الرئيس - الذي يمكن أن ترجع إليه بقية الأسباب - يعود إلى ابتعاد المسلمين عن دينهم، وضعف تطبيق الشريعة - الذي بدأ تدريجياً في كثير من المجالات - في العالم الإسلامي، فلما ضعفت الأمة في العديد من المجالات تكالب عليها الأعداء من كل جانب مصداقاً لخبر النبي ﷺ.

المطلب الثالث: استشراف المستقبل للإسلام:

تتزايد النظرة الاستشرافية بمستقبل الإسلام لدى الغرب، وخاصة لدى من عرف عن قرب واقع المجتمع الغربي، يقول الدكتور الفاروقي: «إن أمريكا ستصبح بالتأكيد يوماً ما دولة إسلامية؛ لأن فشل المسيحية والرأسمالية قد يؤدي إلى تحقيق هذه الغاية»^(١).

ذكر هوفمان في ثانياً كتابه (الإسلام كبديل) مواضع يستشرف فيها المستقبل للإسلام، وقد تحدث عن ذلك بصورة أكثر عمقاً وتفصيلاً في كتابه (الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود)، حيث وصف تقدم الإسلام في مجالات عديدة في الغرب وختم ذلك بقوله: «إنني أثق في قدرة الإسلام على النجاح في أن يستبدل بالنموذج القائم نموذج القادر على تجاوز فشل الحداثة»^(٢).

(١) ينظر: مقال بعنوان: مستقبل الإسلام في الغرب، د. الفاروقي، ترجمة: جمعة مهدي. موقع شبكة الألوكة، في ١٣/٣/٢٠١٦م.

(٢) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (٢٨٧)، ومراد ويلفريد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، مرجع سابق.

ومن المواضيع المهمة التي ذكرها في كتابه الرئيس (الإسلام كبديل)، ويمكن اعتبارها من المبشرات ما يأتي:

١- بعد أن تحدث عن واقع المجتمع الصناعي وقيمه، لاسيما قيمة الحرية التي كفلت كافة الحقوق المدنية التي يحلم بها الفرد، ذكر أحد أهم إفرزات ذلك الواقع، وهو الشعور بالفراغ الروحي الهائل الذي يملأ وجودهم الفعلي، وظهر نتيجة هذا الواقع سؤال خطير وملح، وهو: ما مغزى الحياة والوجود؟ وقد أدى ذلك إلى وجود اتجاه قوي إلى الدين عند البعض، وصاحب ذلك ميل إلى ترويج العلوم الغامضة والغميبات، ثم تنبأ بأن هذا الميل سيقود -عاجلاً أو آجلاً- إلى العثور على دين بديل كافٍ شافٍ، ولن يكون ذلك غير الإسلام^(١).

٢- أشار إلى حركات الاستقلال في دول العالم الإسلامي -التي كان آخرها استقلال الجزائر عام ١٩٦٢م-، وأنها لما رفعت شعارات غير شعار الإسلام، واتخذت النموذج الغربي أساساً لها، وجعلت العلمانية دستوراً الجدي كانت النتيجة هي الفشل الذريع بسبب عجزها وقصورها عن معالجة الأدوات المستشرية، والمشكلات المستفحلة، مثل الانفجار السكاني، وضعف الصادرات، وهجرة رؤوس الأموال.

وما ذكره هوفمان هنا يدل على أن جميع الدول والنظم التي تستبعد الإسلام من حسابها أو تقلل من شأنه فإن مصيرها الفشل، ويدل ذلك -بطريقة غير مباشرة- على أن المستقبل لدين الإسلام متى ما أتاحت الفرصة لتمكينه في واقع الحياة، وأنه الكفيل بحل أعقد المشكلات وتحقيق السعادة للدول والشعوب.

٣- أشار هوفمان كذلك إلى قضية الرجوع إلى الإسلام في العالم الإسلامي، وأكد أن التحليلات حولها بدأت منذ السبعينيات الميلادية ولا تزال إلى اليوم، وقد حاول البعض التقليل من شأنها، وتفسيرها على أنها مجرد حركة اجتماعية تبدي احتجاجاً قولاً أو فعلاً، أو أنها مجرد ردة فعل للتخلف التكنولوجي، ثم أكد أن هذه النظرية في تفسير الرجوع إلى الإسلام قد ثبت خطأها الفادح، ثم توصل إلى حقيقتين في غاية الأهمية.

الأولى: أن مصطلح الرجوع أو الارتداد إلى الإسلام يتضمن تجنياً وافتراءً على الإسلام؛ لأن الإسلام باعتباره ديناً ونظام حكم لم يفقد وظيفته وهيبته حتى في تركيا نفسها (حيث سقطت الخلافة)، وأن الإسلام لم يفقد أهميته مطلقاً، وإن حجبته غشاء رقيق بسبب عملية التحديث الحضاري^(٢).

والثانية: اعتراف الباحثين أن تجلي الإسلام في مجلى جديد (أي: ظاهرة الرجوع إلى الإسلام) في حقيقتها تعبير عن رغبة صادقة وحقيقية في العودة إلى الإسلام، وإعادة هيمنة

(١) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، (٢٩).

(٢) الذي يظهر أن الإسلام قد تعرض لضعف كبير، وليس كما يصف المؤلف.

جميلة عنه للغرب.

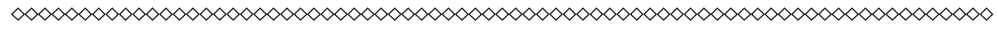
١٠- يعتبر الكتاب بارقة أمل لمن أصابهم اليأس من المسلمين، لما تضمنه من حقائق وبشائر بصعود الإسلام على حساب الحضارة الغربية وقيمتها.
التوصيات المقترحة:

- ١- لفت عناية الباحثين، وخاصة طلاب الدراسات العليا بتوجيه الدراسات حول المفكرين الذين انتقدوا الحضارة الغربية، والإفادة منهم، خاصة من كان من الغرب نفسه، لما يتضمنه نتاجهم من قوة، ومعرفة بواقع الغرب، والاستفادة من كل ذلك في توجيه الخطاب الأنسب للغرب.
- ٢- الدعوة إلى إجراء دراسات علمية موسعة تشمل جميع إنتاج المفكر هوفمان -وهو إنتاج ثري- ومن القضايا الجديدة بالدراسة في نظر الباحث: نقد هوفمان للحضارة الغربية وتبشيره بأفولها، مستقبل الإسلام كما يرى هوفمان، دراسة بين فكر هوفمان وغيره من المفكرين المعنيين بخطاب الغرب، مثل محمد أسد، أو دراسات نقدية لآراء هوفمان.
- ٣- قيام المؤسسات الإسلامية المعنية بالدعوة إلى الإسلام، برصد الإنتاج الفكري الناقد للغرب، ولفت الباحثين إليه، وترجمة ما هو مناسب منه إلى العربية، كما حصل في كتب المفكر هوفمان، ومن قبله محمد أسد حيث كان لترجمة كتبهم أثر واضح في زيادة الوعي بانحرافات الفكر الغربي، وزيادة الاعتزاز بدين الإسلام.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

الكتب:

- أبرص، الأب: ميشال. وعرب، الأب: أنطوان. (١٩٩٧م). المجمع المسكوني الأول (نيقية الأول). ط١. (د.م): توزيع المكتبة البولسية.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ت). صحيح الجامع الصغير وزياداته. ط١. بيروت: المكتب الإسلامي.
- البيهقي، أحمد. (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م). شعب الإيمان. ط١. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.
- الجد، علي إسماعيل. (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م). مراد هوفمان ونقده للمسيحية. مصر: جامعة الأزهر- حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة. المجلد ٢٥. العدد ١.
- الخلف، سعود بن عبد العزيز. (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م). دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. ط٤. الرياض: مكتبة أضواء السلف.
- زكار، سهيل. (١٤١٨هـ). المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف



هوفمان، مراد ويلفريد. (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م). الإسلام كبدل. ط١. الرياض: مكتبة العبيكان.

هوفمان، مراد ويلفريد. (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م). الإسلام في الألفية الثالثة. ترجمة: عادل المعلم ويس إبراهيم. (د. ط.). (د. م): مكتبة الشروق.

هوفمان، مراد ويلفريد. (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م). رحلة إلى الإسلام. تعريب: محمد سعيد دباس. ط٢. الرياض: مكتبة العبيكان.

هوفمان، مراد ويلفريد. (٢٠٠٣م). الإسلام عام ٢٠٠٠. ترجمة: عادل المعلم. ط٢. الرياض: مكتبة العبيكان.

هوفمان، مراد. (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م). رحلة إلى مكة. ط١. الرياض: مكتبة العبيكان.
واطسون، القس أندراوس. وسعيد، القس إبراهيم. (١٩٦٨م). شرح أصول الإيمان ط١. (د. م): دار الثقافة المسيحية.

يوسف، القس صموئيل. (د. ت). المدخل إلى العهد الجديد. ط٢. القاهرة: دار الثقافة.

الآقالات:

حوار مع المفكر الألماني مراد هوفمان حول الإسلام والاضطهاد الغربي، أجرى الحوار: جمال سعد حاتم، شبكة الألوكة، في ١٠/٣/٢٠١٢م.

مستقبل الإسلام في الغرب، د. الفاروقي، ترجمة: جمعة مهدي. موقع شبكة الألوكة، في ٣١/٣/٢٠١٦م.

المواقف الإلكترونية:

شبكة الألوكة (www.alukah.net).

الموسوعة الحرة (ar.wikipedia.org).

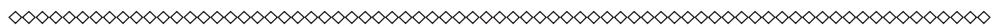
Books:

Abrs, al-Ab : Mishal. wa-Arab, al-Ab : Antwan. (1997m). al-Majma al-Maskuni al-Awwal (nyqyh al-Awwal). T1. (D. M) : Tawzi al-Maktabah al-Bulusiyah.

al-Albani, Muhammad Nasir al-Din. (D. t). Sahih al-Jami al-Saghir wa-ziyadatuhu. T1. Bayrut : al-Maktab al-Islami.

al-Bayhaqi, AHmad. (1423h-2003 M). sha'b al-iman. T1. al-Riyad: Maktabat al-Rushd lil-Nashr wa-al-Tawzi bi-al-Riyad bi-al-ta'awun ma'a al-Dar al-Salafiyah bbwmbay bi-al-Hind.

al-Jaddah, Ali Isma'il. (1428h-2007m). Murad hwfman wa-naqdhil lil-



Masihyah. Misr: J ami'at al'zhr-Hawliyat Kulliyat al-Dirasat al-Islamiyah wa-al- Arabiyah lil-banin bi-al-Qahirah. almjld25. al'dd1.

al-Khalaf, Sa'ud ibn Abd al- Aziz. (1425h-2004m). Dirasat fi al-adyan al-Yahudiyah wa-al-Nasraniyah. t4. al-Riyad: Maktabat Adwa al-Salaf.

Zakkar, Suhayl. (1418h). al-Mu'jam al-mawsu' i lil-diyanat wa-al- aqa'id wa-al-madhahib wa-al-firaq wa-al-tawa'if wa-al-nihal fi al-alam mundhu Fajr al-tarikh Hatta al- asr alhaly-ta'rib wa-tasnif wa-taqdim. T1. Dimashq: D ar al-Kitab al- Arabi.

Shawish, Hamid. (2017/2018-m). al-anzimah al-qanuniyah almqarnt-Muhadarat ulqiyat ala al-Sunnah alth altht-Qanun am. (D. T). al-Jaza'ir : (D. N).

al-Tabarani, Sulayman ibn AHmad. (D. t). al-Mu'jam al-Awsat. tahqiq: T ariq ibn 'Awad All ah ibn Muhammad wa- Abd al-Muhsin ibn Ibrahim al-Husayni. T1. al-Qahirah: Dar al-Haramayn.

Abd al-Mun'im, Us amah Samir AHmad. (1446h-2025m). Juhud Mur ad hwfman fi Ibr az al-Had arah al-Insaniyah fi al-Tur ath al- Arabi wa-al-Isl ami min khil al kit abihi al-Isl am fi al-alfiyah al-th alithah. al-Mu'tamar al- 'Ilmi al-dawli al-Th ani. al-Had arah al-Ins aniyah fi al-Tur ath al- Arabi w al'sl amy-As alah al-athar alamiyah al-ta'thir. Misr : J ami'at al-Azhar.

al-'Uraybi, MuHammad. (1995m). Mawsu'at al-ady an al-sam awiyah wa-al-wad'iyah. T1. Bayrut: D ar al-Fikr al-Lubn ani.

al- Amr, am al bint Abd al- Aziz. (D. t). al-alf az wa-al-musTalaH at al-muta'alliqah btwHyd al-rububiyah. (D. T). (D. M) : (D. N).

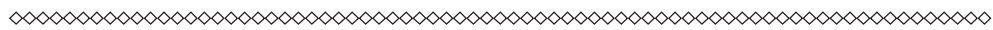
Aw aji, Gh alib ibn Ali. (1427h-2006m). al-madh ahib al-fikriyah al-mu' asirah wa-dawruh a fi al-mujtama at wa-mawqif al-Muslim minh a. T1. Jiddah : al-Maktabah al- Asriyah al-dhahabiyah.

al-Kattani, MuHammad Abd al-Hayy. (1982m). Fihris al-Faharis wa-al-athb at wa-mu'jam al-ma ajim wa-al-mashyakhat wa-al-musalsalat. tahqiq: Ihsan Abbas. t2. Bayrut: Dar al-Gharb al-Islami.

Mahmud, Abd al-Rahman. (D. t). RiHlat imaniyah ma'a rijal wa-nisa aslamu. (D. T). (D. M) : al-Maktabah al-shamilah.

al-Mat'ani, Abd al- Azim Ibrahim Muhammad. (1426h-2005m). Istidrakat Murad hwfman ala al'slam- ard wa-taqwim. T1. al-Qahirah: Maktabat Wahbah.

Ma'luf, al-Ab Luwis al-Yasu'i. (1937m). al-Munajjid fi al-lughah wa-al-



a'lam. t9. Bayrut : al-MaTba'ah al-Kathulikiyah lil-Aba al-Yasu'iyin.

Nukhbah min al-asatidhah dhawi al-ikhtisas wa-man al-lahutiyyin. (D. t).
Qamus al-Kitab al-Muqaddas. t13. al-Qahirah : Dar Maktabat al- a'ilah.

Htshnswan, (2007m). Mu'jam al-afkar wa-al-a'lam. tarjamat: Khalil R
ashid al-Jayyusi. T1. Bayrut : Dar al-Farabi.

Hwfmman, Murad wylfryd. (1418h-1997m). al-Islam ka-badil. T1. al-
Riyad : Maktabat al- Ubaykan.

Hwfmman, Murad wylfryd. (1427h-2006m). al-Islam fi al-alfiyah al-th
alithah. tarjamat: Adil al-Mu'allim Ways Ibrahim. (D. T). (D. M) : Maktabat
al-Shuruq.

Hwfmman, Murad wylfryd. (1427h-2006m). RiHlat ilá al-Islam. ta'rib:
MuHammad Sa'id Dabbas. t2. al-Riyad : Maktabat al- Ubaykan.

Hwfmman, Murad wylfryd. (2003m). al-Islam am 2000. tarjamat: Adil al-
Mu'allim. t2. al-Riyad : Maktabat al- Ubaykan.

Hwfmman, Murad. (1421h-2001M). RiHlat ila Makkah. T1. al-Riyad:
Maktabat al- Ubaykan.

W aTswan, al-Qiss Andrawus. wa-Sa'id, al-Qiss Ibrahim. (1968m). sharH
usul al-iman T1. (D. M) : Dar al-Thaqafah al-Masihiyah.

Yusuf, al-Qiss Samu'il. (D. t). al-Madkhal ilá al- ahd al-jadid. t2. al-Q
ahirah : Dar al-Thaqafah.

Articles:

Hiwar ma'a al-mufakkir al-Almani Murad hwfmman Hawla al-Islam wa-
al-idtihad al-gharbi, ajra al-Hiwar : Jamal Sa'd Hatim, Shabakah al-Alukah,
fi 102012 / 3/m.

Mustaqbal al-Islam fi al-Gharb, D. al-Faruqi, tarjamat: Jum'ah Mahdi.
Mawqi' Shabakah al-Alukah, fi 131016 / 3/m.

Websites:

www.alukah.net

ar.wikipedia.org